# بولي وود مركز لصناعة السينما الهندية

مفيد وحيد الصافي

**في ٢٤ تموز عام ١٩٨٨، وفي مكتبة جامعة بنكالور، بينما كان النجم الهندي اميتاب باجاجان، يؤدي دوره في فلم، (كولي)، وهو الممثل المعروف في وسائل الاعلام، على انه يمثل صناعة لوحده، ويمتزج اسمه في استوديوهات التصوير بكل هالات الاحترام المختلط بالحسد، كأنه اله على الارض، تعرض الى ضربة من قبل احد المجاذفين، سقط على اثرها على منضدة حديدية، كانت اصابته في الامعاء. وطوال الاسبوعين اللذين تليا الحادثة، كان باباجان يعاني من تعقيدات طبية خطرة، لقد كان يصارع الموت- في ذلك الوقت توقفت الهند عن الحركة.**

استقلت رئيسة الوزراء انديرا غاندي احدى الطائرات الى مومبي لتزور الممثل المصاب، حتى ابنها الذي اصبح فيما بعد رئيسا للوزراء، قطع زيارته الى الولايات المتحدة، ليزور صديق طفولته.

واحتشد المخرجون والمنتجون على باب مستشفى (بريج كالندي)، اما في الخارج فقد تجمع المعجبون، يرقبون ما يحدث من دون كلل، وهم يعرضون من دمائهم او اعضائهم، أي شيء يمكن ان ينقذ حياة ميتاب.تجمع الالاف وهم يرددون الصلوات، في المعابد والمساجد، وذكر تقرير صحفي ان طفلة في الثامنة من عمرها قد فقدت وعيها عندما سمعت اشاعة كاذبة مفادها ان ميتاب على حافة الموت. واغلق الهنود العاملون في سنغافورة محالهم التجارية عندما سمعوا بذلك الخبر، يقول راميش سبي المخرج السينمائي، ان الاحاسيس التي يثيرها ميتاب بين الهنود في العالم تشكل ظاهرة. ان هذا الامر لايشكل مفاجأة في الهند، لان السينما فيها لاتعتبر شيئا ترفيها فقط، بل انها تمثل عاطفة وشغفاً، حيث يرتاد الملايين من الناس دور العرض السينمائية كل يوم، والتي يقترب عددها من ثلاثة عشر الف دار عرض سينمائي مختلفة، منتشرة في كافة انحاء الهند. ومن اجل المشاركة في احتفال متنقل من المشاهدة، والغناء والرقص.

لقد قامت الهند بانتاج افلام يصل عددها الى حوالي ٢٧٠٠٠ فلم بخمس وعشرين لغة، منذ اول انتاج سينمائي لها في بداية القرن العشرين.كما ان الهند تعتبر اليوم واحدة من كبرى الدول انتاجا في العالم للافلام السينمائية، فهي تنتج حوالي ثمانمائة فلم سنويا.

من بين تلك الافلام هنالك مائة وعشرة افلام، تنتجها مصانع الاحلام في مومبي او بومبي او كما تعرف باسم( بولي وود)، عاصمة انتاج الافلام الهندية.

ان مومبي تضم اكثر من عشرة استوديوهات مختلفة تنتج انواعاً مختلفة من الافلام وبميزانيات ضخمة، الى افلام يلعب دور الابطال فيها ممثلون متعددون، او ميزانيات لافلام سريعة محدودة الايام من عشرة الى خمسة عشر يوما.ان هنالك مايزيد على مائتي فلم، مفتوحة في مدد انتاجها، وبميزانيات تتراوح من خمسين الفا الى خمسة ملايين دولار.

تشكل مدينة مومبي مرحلة اساسية في تاريخ السينما الهندية، منذ وصول السينما الى هناك، حيث تم عرض اول فلم ذي مدة قصيرة في الهند في ٧ تموز ١٨٩٦، وكان من انتاج شركة (لومير برثرز) وقد عرض في فندق وتسن في مومبي.

بعد ذلك اخذ اصحاب المشاريع الهنود مثل هيرلال سين في كلكتا، واج اس فدكار في مومبي بانتاج افلام قصيرة الامد، ويعتبر( داد اصحاب فلكة) ابا السينما الهندية، فهو الذي اسس لافلام فالكة في مدينة مومبي. وقد انتج اول فلم طويل يسمى (هاريش جندرا) بعد ان رهن جواهر زوجته وخاطر بشخصه وماله، وقد لقي الفلم نجاحا منقطع النظير.

ازدادت صناعة الافلام الهندية في الطموح والمدى منذ ذلك الحين.وكانت نتاجات( بولي وود) تصنع الحياة، و تحفل بشخصياتها المختلفة، وتناقضاتها الكبيرة، ولكن ذلك الانتاج بقي مثل كوخ غير مرتب، وقد تعرضت سمعتها الى التشويه بعد ان ذكر ان اعمالها كانت تدار عبر اموال غير شرعية مع ثقافة عمل غير منظم واعمال غير قانونية، منذ ان اخذت المافيا بومبي تزيد من حضورها التجاري فيها منذ عام ١٩٨٠، عبر تمويل انتاج تلك الافلام، ولكنها رغم ذلك استطاعت بولي وود ان تبقى مثيرة للاعجاب، خاصة بعد دخول الفيديو والقنوات الفضائية في عام ١٩٩٠ .

ان الافلام التي تنتجها بولي وود لها حضور كبير في الهند، رغم وجود شركات اخرى مثل تشناي وكلكتا.ان ممثليها هم الهة على الارض.فلا شيء يمكن ان يضاهي شعبية اميتاب باجاجان، فمازال ذلك الممثل يؤدي ادوار البطل منذ خمسين عاما، كما ان ممثلين مثل شاهِ خان وامير خان وممثلات مثل مادوري ديكسيت وكاريزما كابور، كل اولئك يملكون معجبين في كل مكان في العالم. لقد خطت السينما الهندية خطوات عملاقة تقنيا، ولكنها لا تزال تحبو كالاطفال في اختيارها المواضيع. ان ايجاد مواضيع غير تقليدية هو امر نادر رغم وجود التقنيات العصرية مثل آلات تصوير وأنظمة انتاج قوية في سَتوديوهات مومبي المتربة.

ان الموسيقى تمثل عنصرا مكملًا في صناعة السينما الهندية منذ فلم (الامِ آرا) الذي كَانَ يضم سبع أغانٍ. ويعتقدُ المؤرخونَ ان الشكل الموسيقيَ قد قدم من المسرح الهندي، عبر التقاليد الكلاسيكية العالية أَو مسارح الشوارع. وسواء اكان الفلم فلم اثارة ام رعب ام اكشن ام فلما رومانسيا يجب ان تغني الشخصيات فيه، وفي خلفية جميلة خيالية.ان اغاني الافلام التي تغنى في الاعراس والاحتفالات والمناسبات وفي قاعات الرقص تمثل اناشيد وطنية. ان اغاني الافلام تمثل اليوم تجارة مربحة، حيث تباع ملايين الاشرطة الناجحة، كما ان المغنين، والملحنين والمؤلفين هم مشهورون ايضا.

## من المكتبة السينمائية:

# سينمائيون بلا حدود

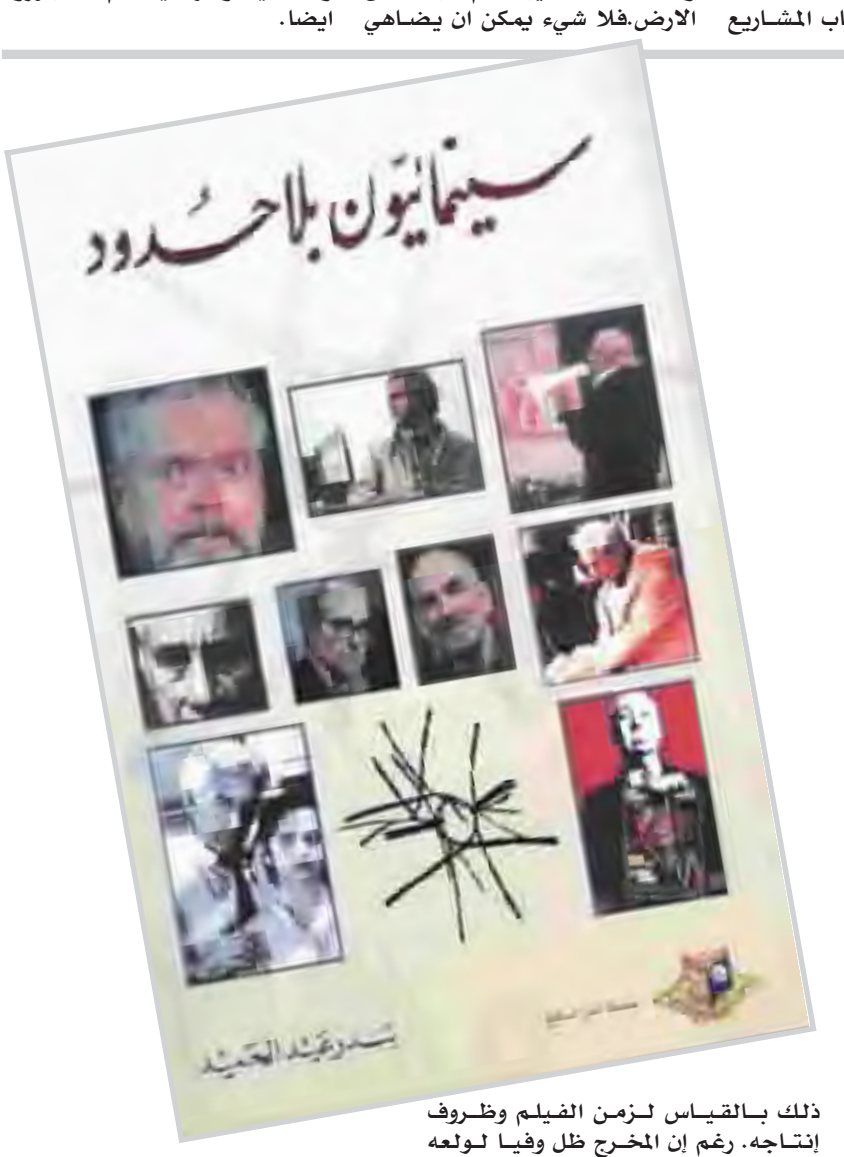


احمد ثامر جهاد

في الكتابة عن السينما ثمة براعة خاصة يجيدها المتمرسون من ذوي الحس الجمالي العالي والثقافة الرفيعة والرؤية النقدية الحاذقة، فقد يكون بوسعك أحيانا أن تكتب ما لانهاية من الجمل والكلمات عن الأفلام والمخرجين والقصص السينمائية والنجوم والتقنيات الفنية والمونتاج والمؤثرات والإنتاج وعن المهرجانات والجوائز وما يتراوح بينهما، لكن تبقى هناك كتابة ماسة تلبي حاجة ما، قد تكون كتابة نظرية عن السينما أو قراءة صحفية لظاهرة سينمائية أو كتابة ذاتية عن فيلم ما. وكل صنوف الكتابة هذه في الشأن السينمائي تبدو ضرورية لجعل السينما والثقافة السينمائية معرفة متاحة للجميع.

(سينمائيون بلا حدود) هو كتاب آخر للناقد والشاعر والصحفي السوري بندر عبد الحميد الذي تمتاز كتاباته بأسلوب رشيق يمزج بين ولعه الشخصي بالسينما ورؤيته الموضوعية لها. يفتتح الناقد كتابه بمقدمة يتطرق فيها لموضوعات تتعلق ببدايات السينما والتحديات التي واجهها هذا الفن في مراحله المبكرة: (فحينما ولدت السينما في عام ١٨٩٥ من معطف التصوير الضوئي، لم تكن تعني أكثر من بدعة معرضة للزوال، أو لعبة للتسلية، ولكنها استطاعت في مدة وجيزة أن تمتص كثيرا من الجاذبية الخاصة التي تحيط بالفنون الأخرى، وان تؤثر وتتأثر بحياة الناس، بشكل متسارع يفوق ما واكب الاختراعات الأخرى التي غيرت ملامح الحياة على الأرض.) هكذا يضع الناقد نقطة بداية تاريخية لكتابه الذي يتعرض لتسليط الضوء على مغامرة الإنتاج في الصناعة السينمائية والسبل التي تبنتها هوليوود للخروج من أزمتها في ثلاثينيات القرن الماضي. فيما تكرس الصفحات اللاحقة من الكتاب لتناول أعلام السينما وفنانيها، مع مرور عابر وشيق على حياة نجوم السينما وعن الإغراء والحرب والموت في حياة السينمائيين ومصائرهم، وذلك باعتماد أسلوب الكتابة الصحفية الملخصة.

بشكل عام يسعى الناقد الى الحديث عن نخبة من المخرجين المعروفين الذين اثروا مسيرة السينما العالمية، غالبا من خلال عرض ملخص لموضوعات الكتب التي نشرت لهم أو عنهم في سلسلة الفن السابع –وزارة الثقافة السورية، وتناولت في معظمها سينماهم وسيرهم الحياتية والفنية. ويتصدر هيتشكوك قائمة المخرجين الذين يتناولهم الكتاب في عرض سريع لتجاربه الفنية ومواقفه المتباينة من السينما ورؤيته للحياة والفن. فعوالم هيتشكوك المثيرة نراها في الحوار السينمائي الطويل الذي أجراه معه المخرج الفرنسي فرانسوا تروفو، والذي له أهمية خاصة في الأدبيات السينمائية لاسباب متعددة يذكرها الناقد بندر عبد الحميد: منها (انه جرى بين مخرجين سينمائيين، لكل منهما تجربته الخاصة، ولانه يمثل نموذجا لحوار بين ثقافتين مختلفتين، في الجذور والفروع، امتد إلى خمسمائة سؤال وجواب، وهو بمثابة عملية تشريح دقيقة لتجربة فنية خاصة جدا في تاريخ السينما).

بعدها ندخل إلى تجربة المخرج الفرنسي (روبيير بريسون) عبر تناول أفلامه ولغته الخاصة مرورا بكتابه الشهير (ملاحظات في السينماتوغرافيا) وعن خصوصية سينماه يذهب الكاتب إلى القول: (اهتمامه الفعلي ينصب على البحث عن الحقيقة وراء الواقع المجرد، والواقع المادي للأشخاص والأشياء، وبذلك فإنه يستكشف، تلك الحقيقة –التي هي الجمال المطلق –في الحياة والهواجس الداخلية لشخصياته التي يضعها في عالم فني ينأى بها عن مألوفات اليومي والشعر، والرسم، والحدوس، واستشرافات الروح هي أهم أدواته في ذلك المسعى). ويضيف (إن بريسون يصر على البحث عن السينما الخالصة، ويرفض الحبكة التقليدية بعدها خدعة روائية ويختار ممثليه من غير المحترفين، فيقاوم فكرة التمثيل لأنها من أدوات المسرح، وهي تعيق البحث عن الحقائق الداخلية، وتطمس الطبائع البشرية الأصلية). وفي نهاية الفصل يورد الكاتب مقتطفات من ملاحظات بريسون الشهيرة في السينما.

ومن عالم الأحلام يطل المخرج العبقري فديريكو فلليني حيث تشكل الأحلام الحقيقة الوحيدة في حياته. هكذا يسعى الناقد إلى قراءة حياة فلليني من خلال الحديث عن مذكراته التي (تشكل نوعا من أدب الاعتراف النادر، وتتجاوز ما كتبه اكثر النقاد في تحليل أفلامه، والبحث عن علاقتها بمفردات حياته الشخصية، وأحلامه بشكل خاص..) مثلما جاء في الكتاب الذي يستمر في التقاط ومضات مهمة من حياة المخرج وأقواله ورؤيته للحياة والفن والتي تمتاز أحيانا بالغرابة وفرادة الإحساس، فهو من اعتبر يوما إن المشاعر الجنسية والسيرك والسينما والمعكرونة هي من اشد الأشياء تأثيرا في تكوين شخصيته، وان أفلامه عامة أشبه ما تكون بالمقابلات الذاتية. لذلك كان فلليني مدافعا قويا عن ذكريات طفولته البعيدة التي أخذت شكل الصور الخيالية في ذاكرته، وهي خزين أفلامه ومنبعها الأساس، فلفلليني كان مسحورا بالخيال والصور اكثر من انجذابه للعقلانية الصارمة، وهو يرجع كارل يونغ على فرويد، بل انه يسميه (الأخ الأكبر).

ويتوقف الكتاب عند المخرج (ايليا كازان) بوصفه أحد المجددين في تاريخ السينما الأمريكية، ويأخذ بالحديث عن سيرته الذاتية والفنية وعن مذكراته المنشورة عام ١٩٨٨ والتي تطرح جانبا حيويا من معاناته وتجاربه الأولى وعلاقته مع جيل من الكتاب والمسرحيين الأمريكيين وصلته الخاصة بنجمه المفضل الممثل (مارلون براندو) وبالتأكيد علاقته المشبوهة مع لجان الحملة المكارثية سيئة الذكر. ومن كازان إلى رائد أفلام الرعب والأسطورة المخرج الألماني (مورناو) أو كافكا السينما الذي اخرج أعمالا سينمائية أصبحت علامات خالدة في تاريخ السينما الصامتة، مثل دكتور جيكل ومستر هايد، نوسفراتو، فاوست..

لاحقا يتوقف الكتاب عند أحد رموز الموجة الجديدة في فرنسا، المخرج فرانسوا تروفو الذي بقي وفيا لولعه بهيتشكوك عبر إنجازه أطول حوار فني في الأدبيات السينمائية. ولابد من التوقف عند فيلمه (الليلة الأمريكية) الحائز على جائزة الأوسكار والذي يحكي سيرة تروفو الذاتية بأسلوب شاعري يمزج الماضي بالحاضر. كان تروفو يقول: لقد فضلت دائما انعكاس الحياة اكثر من الحياة ذاتها.

تستمر فصول الكتاب بالإيقاع ذاته في تناولها حياة المخرجين السينمائيين وتجاربهم الفنية، لنرى عبرها اعترافا خطيرا للمخرج (اورسون ويلز) يقول: من المؤسف إنني بدأت من القمة ولم أجد بعدها طريقا سوى النزول. فبعد انطلاقته السينمائية في رائعته الشهيرة (المواطن كين) مخرجا وممثلا، لم يستطع (ويلز) تقديم إنجاز يوازي هذا الفيلم أو يتجاوزه، ذلك بالقياس لزمن الفيلم وظروف إنتاجه. رغم إن المخرج ظل وفيا لولعه بالنصوص الأدبية والسيناريوهات الجيدة التي كانت شهرتها عاملا مضافا لامتياز أفلامه، ومنها بالتأكيد: عطيل، ماكبث، المحاكمة، عائلة امبرسون العظيمة، الرجل الثالث، رجل لكل العصور ...

وللحديث عن أحد ابرز رموز السينما الإيطالية، يعرج الناقد على كتاب (بناء الرؤية) للمخرج انطونيوني والذي ضم أهم كتاباته وابرز اللقاءات الصحفية التي أجريت معه. وفي تحديد السمة الغالبة لأفلامه الشهيرة كـ (الكسوف، الصرخة، انفجار، المهنة صحفي، نقطة زابريسكي، الحمراء) يقول الناقد بندر عبد الحميد: إن أفلام انطونيوني تمثل الوجه الآخر لأفلام روسيليني ودي سيكا، وهو يعتمد على الابتعاد عن قواعد السرد السينمائي ليؤكد أسلوبه الخاص.

وقبل أن يختتم كتابه بالحديث عن سينما الموجة الفرنسية الجديدة بتصوراتها الجمالية والفكرية المغايرة وبخروجها على المألوف، يفرد الناقد فصولا سريعة للحديث عن رؤى مخرجين كبار تركوا بصماتهم في تاريخ السينما العالمية، وأبرزهم: جون فورد، جان رينوار، يوريس ايفنس، بيرغمان، اندريه فايدا وشارل باتيه.

## (أحيانا يأتي نيسان)

# الفيلم الثاني عن المأساة الراوندية

متابعة جودت جالي

أن الفيلم الذي كان له أبلغ الأثر على الحاضرين في مهرجان برلين السينمائي من دون شك، مع فيلم (الجنة الآن) عن أنتحاريين فلسطينيين وفيلم ( بلا مصير ) عن تهجير اليهود الهنغاريين، هو فيلم (أحيانا يأتي نيسان ) الذي ذهب أبعد مما ذهب اليه فيلم تيري جورج ( فندق رواندا ) الذي عرض خارج المسابقة . يعود السينمائي الهايتي راؤول بيك بفيلم ( أحيانا يأتي نيسان ) عودة قوية الى قضية الأبادة الجماعية الرواندية التي حدثت في شهر نيسان عام ١٩٩٤ . عنوان شعري لفيلم يوجه الى المشاهد صدمة نفسية عميقة . ساعتان وعشرون دقيقة لوصف صعب ورعب مطلق أمتد ١٠٠ يوم قتل فيها مليون أنسان وتشرد ثلاثة ملايين من الرجال والنساء والأطفال . بعد فيلمه الوثائقي ثم فيلمه الطويل عن الحكم القصير للرئيس الكونغولي باتريس لومومبا الذي عرض عام ٢٠٠٠ يلتفت نحو أفريقيا ، رواندا بالتحديد ، محاولا أن يفهم الأسباب المعقدة والتأريخية التي أثارت ، في شهر نيسان ذاك الذي يدشن موسم الأمطار كل سنة ، الحرب الأهلية الضارية التي شنتها ميليشيات الهوتو على التوتسي وعلى الهوتو المعتدلين .

بعد بضع ساعات من ضرب طائرة الرئيس هابياريمانا غير بعيد عن مطار كيغالي وفي ليلة السادس على السابع من شهر نيسان نصبت المتاريس في الشوارع وتزايد أطلاق النار وبدأت المذبحة بشكل منتظم بأندفاع قطعان بشرية من الهوتو مسلحين بالسواطير والهراوات نحو التوتسي في منازلهم فأعملوا فيها النهب والحرق وفي سكانها الذبح . لوصف هذا كله تجنب راؤول بيك المؤثرات السهلة والمبالغات الدموية وفخاخ الميلودراما ، ولكنه لكي يطرح هذه ( الحكايات الحقيقية والشهادات المعاشة ) كما قال عمد الى توظيف الخيال الأدبي ليطور بناء الفيلم الدرامي ولربط الأحداث ( يروي الفيلم أذن حكاية أوغسطين موغانزا وهو ضابط من الهوتو يقوم بتمثيل دوره الممثل الأميركي أدريس ألبا يهجر وحدته مع رفيقه خافيير ( الممثل فريزر جيمس ) ليضع زوجته التوتسية في مكان أمين هي وأطفاله الذين أودعهم عند أخيه هونوريه ( الممثل أوريس أيرهويرو ) وهو صحفي يعمل لحساب الأذاعة . موغانزا الذي سجن وطرد لم يعرف حقيقة خسارته لعائلته ألا بعد عشر سنوات أثناء محاكمة أخيه أمام محكمة دولية بتهمة ( الحقد العنصري والتحريض على العنف ) أثناء المذابح. لقد صفق الحضور للفيلم طويلا ثم وفي المؤتمر الصحفي وهو محاط بفريق العمل والمؤلف الموسيقي برونو كوليس أكد راؤول أنه وقتئذ كما كان جميع الناس ( غير مدرك أو منشغلا الى درجة لاأستطيع معها أخراج فيلم عن المذبحة وقبل أن أضطلع بمسؤوليات سياسية في هايتي وزيرا للثقافة ثم في واشنطن كنت مع وفد لمناقشة أنزال الجيش الأميركي على جزيرتنا ولم أتحرك بهذا الأتجاه ألا بعد عشر سنوات ).

الثقة الأكيدة عند راؤول هي أنه لم يكن بمقدوره أخراج هذا الفيلم الذي قامت بأنتاجه شركة أميركية والفرنسي دانيال ديلوم من شركة سينيفاكتو لولا المعنيون بالأمر بالدرجة الأولى ألا وهم الروانديون.

( عملنا مع فريق عمل تقني لابأس به عاش الأحداث ، بالنسبة الى الحالات النفسية الهشة أستعنا بأطباء نفسيين . من جانب آخر وقبل كتابة السيناريو سنحت لي فرصة مقابلة الضحايا والناجين ، هذا سمح لي بأعطاء العمل مصداقية وبناء موضوعي بشكل أفضل ، وفي الحقيقة أني تحدثت قليلا عن العمى العسكري الفرنسي والبلجيكي في المذابح ).

كل الصعوبة بالنسبة الى هذا السينمائي كانت في ( أظهار الآليات المعقدة لحالة سياسية وأجتماعية أدت الى الأبادة الجماعية ) وهي مهمة أنجزت من دون الأستعانة بمؤثرات بفضل ممثلين رائعين صوروا بمواهبهم الفذة أبعاد هذه

## ( ذاكرة معتقلة ) المغربي

# أفضل فيلم في مهرجان تطوان

فاز الفيلم المغربي (ذاكرة معتقلة) لمخرجه الجيلالي فرحاتي بجائزة أحسن فيلم، في المسابقة الرسمية للدورة الـ ١٢ لمهرجان تطوان الدولي لسينما بلدان البحر المتوسط الذي اختتم أعماله هذا الأسبوع.

ويسرد الفيلم حكاية لقاء المختار في السجن بصديق له دخل المعتقل بتهمة سرقة السيارات ظاهريا وللالتقاء بذاكرة أبيه الذي كان هو الآخر معتقلا سياسيا، حيث يساعد الشاب الصديق البطل الذي فقد ذاكرته على استرجاعها ليعرف منه ملامح وأسرار بعض أقاربه وأصدقائه لتبدأ رحلة البحث المضنية.

وقال الموسيقار العراقي نصير شمة الذي جاء إلى المهرجان عضوا بلجنة التحكيم إنه يعتقد أن اللجنة كانت موضوعية جدا في موضوع الاختيارات والجوائز، موضحا أن المنافسة كانت شديدة بين السينما الأوروبية والعربية.

وأضاف "لكننا أخذنا بعين الاعتبار حجم الإنتاج وكمية الأموال التي تحققها الأفلام الأوروبية وفقر الإنتاج لدينا، وحاولنا أن نركز على الأفكار التي تطرحها الأفلام العربية ولم نعتمد على لغة السينما كتكنيك والتي تتفوق فيها بكثير السينما الأوروبية".

وفاز (كاترينا تقصد المدينة) للمخرج الإيطالي باولو فيرزي بجائزة لجنة التحكيم للفيلم الطويل. كما حصل الممثل المصري محمود حميدة على جائزة أحسن دور رجالي عن فيلم (بحب السيما) فيما نالت الممثلة الفرنسية لولا نيمارك جائزة أحسن دور نسائي عن فيلم (الحائكة) لأليونور فوشير.

كما حصل الفيلم اللبناني الفرنسي البلجيكي (معارك الحب) لدانييل عربيد على جائزة دون كيشوت مناصفة مع المغربي (ذاكرة معتقلة) كما فاز فيلم الفلسطيني الفرنسي (الراقصة الأبدية) لهيام عباس بجائزة لجنة التحكيم الخاصة.

وتخلل الإعلان عن الجوائز تقديم الموسيقار العراقي نصير شمة معزوفتين الأولى (زهرة القلب) والثانية بعنوان (حب) قال إنه أهداها للفنان المصري أحمد زكي الذي رحل مؤخرا موضحا أنه أسمعه المعزوفة قبل رحيله بأسبوع عبر الهاتف.

وكرم المهرجان الذي انطلق يوم ٢٥ آذار الماضي المصري محمد خان مخرج أحد أشهر أفلام أحمد زكي (زوجة رجل مهم) كما كرم المخرج المغربي عبد القادر لقطع والممثل والمنتج الفرنسي هومبير بالزان.